هل تتعارض الثورية العربية والماركسية ؟

بقلم محمد عباس بكر

تحتل حركة التحرر العربية اليوم مكانا بارزا على مسرح التاريخ الحديث . ونعيش الامة العربية فترة حازمة من تاريخها يعتمد على نتائجها مصير اجيال عربية قادمة . لم يعد في عصرنا هذا – وكذلك لم يكن حتى في العصور القريبة الماضية – بالامكان السير بعيون مغمضة عما يجري حولنا في عالمنا الكبير ، والذي اصبح بفضل الجهود الانسانية متضافرة ، صغيرا ، بالنسبة للعلاقات بين الشعوب واضطلاعها بتقدمها وتبادلها للثقافة والعلوم . وكل عربي مخلص لامته وتاريخها وحريص على ان يبقى اسمها في مكانه اللائق بين الامم عليه واجب الحرص ان تسير الامة في الطريق التاريخي الصحيح وان تبتعد ثقافتها عن كل الافكار الضارة والمغلوطة . ولا شك ان افضل سبيل لذلك هو النقاش الاخوي الصحيح بين ابناء الامة من اجل اخذ الصالح الطيب وترك الخبيث المتعفن . لذا فانا لا اريد ان اناقش حرفيا ما جاء في مقال الاستاذ مطاع الصفدي ،ولكن اود ان اطرح بعض الافكار والتي اعتقد انها تساعد وستساعد كثيرا على توضيح موقفنا مما يجري حولنا . آملا ان تجد ذلك الاهتمام – ان استحقه – وان يعمل على وصولنا يدا بيد الى الاهداف المنشودة لامتنا الناهضة .

الثورية العربيه والماركسية :

لقد حدد الاستاذ مطاع صفدي كلمة الثورية العربية بانها « قوة جماهيرية واتجاه حضاري وفكر اديلوجي » اي اتجاه وواقع حركة التحرر الوطني في الوطن العربي . واختار عنوان مقاله بحيث يصبح الموضوع هو معارضة الماركسية بالثورية العربية . واعتقد ان في ذلك شيئا من عدم الدقة ، وليس هناك ضرورة عند بحث قضية الثورية العربية ان تكون معارضة للماركسية ، بل يمكنها ان تكون معارضة لنظرية فلسفية (فكر اديلوجي) واتجاه حضاري معين حسب تعبير المؤلف نفسه . ولتوضيح ذلك لا بد من التطرق لكلا « النظريتين » او الموضوعين بالتحليل العلمي الواقعي .

فالماركسية هي منهج افكار كارل ماركس ومذهبه ، وهي تضم الموضوعات الثلاث ، وهي الفلسفة المادية والاقتصاد السياسي والاشتراكية العلمية . وانه وان كانت كل موضوعة من هذه الموضوعات الثلاث تعتمد على الاخرى وتكملها ، فانها تؤلف ايضا ثلاثيا متباينا . فامام اي من هذه الاجزاء المكونة تقف الثورية العربية ؟

يقول الاستاذ صفدي في مقاله « فالفكر والعمل ضمن الجماعية الجدلية لا يتحاوران » ثم يتبعها « فليس هناك في الاساس فكر بمعزل عن مادة او مادة بمعزل عن فكر، وانما المعطى الاصلي هو هذه الجماعية totalité التي لا يمكن فصل احد القطبين فيها الا بتجريد ذهني خالص » .

حقا ان ذلك شيء جديد ، لم تات به النظرية الفلسفة المادية التي تؤكد وجود المادة قبل الفكرة idée ، ولا النظرية الفلسفية المثالية والتي تؤكد العكس اي ان الفكرة وجدت قبل المادة . بل هو محاولة لوضع نظريتين متعارضتين ، بينهما صراع فلسفي يعود لالاف السنين ، في قالب واحد . فالقول ان « ليس هناك فكرة بمعزل عن مادة » هو تثبيت للفلسفة المادية والقول « ليس هناك مادة بمعزل عن فكر » تثبيت للفلسفة المثالية . اما وضعهما بمثل هذه البساطة في جملة واحدة فلم يسبق ان افره احد من انصار اي من الفلسفتين ، عدا ان ذلك لا يتفق مع ابسط المبادىء العلمية او الفلسفية . ولا يوجد في هذا المجال سوى سبيلين :فاما ان تكون المادة قد وجدت وتطورت تحت ظروف معينة الى شكل الحياة البدائي ، والتي اخذت بدورها تتطور حتى ظهر الفكر فالفكرة ، واما ان يكون الفكر ، فالفكرة قد وجدت وخلقت المادة واشكالها المختلفة . اما منشأهما معا وفي آن واحد فان ذلك ضرب من الخيال او هو « تجريد ذهني خالص » حسب تعبير الكاتب نفسه .

ان الصراع بين هذين المنهجين الفلسفيين – المثالية والمادية – يعود بشكل واضح الى قدماء اليونان ، ولم يكن نادرا ان برز هذا الصراع في نفسية الفيلسوف وانطبع في كتاباته وتحليله للاحداث او الظواهر . واستمر ذلك عبر التاريخ ، ولبعض الفلاسفة العرب اثر واضح في اغناء تراث الفلسفة المادية ، سواء عن طريق المحاورات الفلسفية او الدراسات التاريخية والعلمية نذكر منهم بفخر كبير واعتزاز الفيلسوفين العربيين ابن رشد وابن خلدون ، اللذين نلمس اثارهم واعمالهم عند المفكرين الاجانب (في اوروبا بشكل خاص) اكثر من المفكرين العرب .

اما موضوع تفوق الفلسفة المادية على الفلسفة المثالية فان اثره يظهر اكثر فاكثر مع تقدم العلوم ، والتي تعتمد بشكل كبير في تطورها على الاسس النظرية للفلسفة المادية .

اذن فقضية الفلسفة ليست قضية « قومية » او تخص احدا بعينه ، بل هي تراث انساني بكل ما في الكلمة من معنى . وفلسفة ماركس هي فلسفة مادية بل هي المادية بعينها والتي لا يمكن مناظرتها الا بقضايا فلسفية ، او بالفلسفة المثالية ، والتي اشك ان يقبل بها الاستاذ صفدي كفلسفة للثورية العربية .

***

ينتقل الاستاذ صفدي بعد ذلك الى طريق الممارسة الثورية العربية ، نحو الوعي الجدلي للواقع الثوري . وهنا يبدأ بحث نقطة جديدة ، وهي الطريق التي سارت وتسير عليه الحركة الثورية العربية. اني اوافق الاستاذ صفدي على ان الحركة الثورية العربية قد سلكت « طريقها الخاص بها » وانها تتبع اساليب في النضال والاصلاح ليست باي حال من الاحوال صورة او تقليدا لاي سابقة ثورية ، وليست هي بحاجة ان تكون تقليدا او نسخا لاي تغير جرى على وجه البسيطة ،لكن السنا نلاحظ بان هذا الطريق محدد المعالم والهدف ؟ اليس هو طريق النضال ضد الاستعمار لكسب الاستقلال الوطني ومن ثم العمل على الاصلاح في الداخل وتحسين معيشة الجماهير والمحافظة على الكرامة الوطنية ؟ نعم ... ان طريق الملايين من ابناء الشعوب هو طريق رحب يتسع لان يأخذ كل شعب فيه خط سيره دون تعارض او اصطدام . واذا كان ماركس قد قال بان سير التاريخ يحدده الصراع الدائر بين المستغلين والمستغلين وبالتالي فهو الصراع الطبقي داخل الامة بذاتها ، فقد اكد التاريخ العربي الحديث هذا التحليل ولم يعارضه . فطريق الثورية العربية هو التخلص من الاستغلال – الاستعمار اولا – ومن ثم السير في طريق ازالة الاستغلال في الداخل . واكثر من ذلك هو توطيد السلطة لقوى الشعب العاملة حتى تمنع اي محاولة لاستغلال الانسان للانسان . وليس الاصلاح الزراعي والتأميمات ، سواء لاملاك الاجانب ام البرجوازيين العرب ، والضمان الدستوري لاغلبية عمالية وفلاحية في المجالس التشريعية والتنظيمات السياسية ، وكذلك حق العمال بنصيب ثابت من الارباح وادارة المصانع ، سوى تعبير عن ذلك . نعم « فمن خلال صراع الاستعمار وقوى التخلف والجمود تكشف امام الثورية العربية وسائل الحلول الجذرية » بل لقد بدىء العمل بهذه الوسائل والتي لا تتعارض لا من قريب ولا من بعيد مع ما قالت الماركسية منذ اكثر من مئة عام .اللهم الا اذا كانت السفينة قد بلغت القارة الامريكية بعد وصول كولومبس قد اعادت اكتشافها من جديد ! وحتى لو اسلمنا ان الذين وضعوا اسس الاشتراكية العربية والقومية العربية ونظريتها

لا يعرفون شيئا عن الماركسية ونظريتها فانهم لا بد ملتقون معها في الخط العام ، ليس لانها فلسفة ماركسية ونظرية ماركسية ، بل لانها نظرية تامة الانسجام مع العلم وحركة التطور الموضوعية .

وهكذا يظهر ان وضع « الثورية العربية امام الماركسية » لا ينطبق مع واقع هذه الثورية ولا يخدم واقع هذه الثورية ولا يخدم القضية الثورية العربية ، بل من الممكن ان يفتح المجال امام بعض «المتحذلقين» لتشويه قضية الثورية العربية نفسها . ولا يسعني هنا الا ان اكرر كلمات الاستاذ صفدي بان « الاستيعاب العلمي المخلص للنظريات والفهم التحليلي الواقعي لخصائص التجارب التطبيقية للماركسية هما جهدان اساسيان يتضمنان جهدا ثالثا ، وربما هو الاهم . انه المقارنة الواعية ، ضمن منهج جدلي متماسك بين حصيلة هذين الجهدين وبين معطيات الثورية العربية ، كوقائع وكاتجاهات نظرية ، بحيث تنفتح امام الثورية العربية طريقا للوضوح الكامل » .

***

ورد في مقال الاستاذ صفدي تعبير يستحق الانتباه والمناقشة وهو « القومية العربية باعتبارها قومية بروليتارية » . فاذا كان المقصود بذلك ان الحركة القومية العربية ، هي حركة تلك الفئة من العمال والفلاحين التي لا تملك وسائل الانتاج وتضطر بالتالي لبيع قوة عملها ، وتكون حركتها ضد الاستغلال مهما كان مصدره وفي سبيل بناء حياة جديدة تتحقق فيها مطالب البروليتارية التاريخية ، فليس بين ذلك وبين الماركسية ادنى معارضة ، الا في اختيار التعبير . اما اذا كان القصد هو عملية خلط ورفع يافطة البروليتاريا امام جميع طبقات المجتمع فلا بد من قول كلمة بهذا المجال .

القومية هي تعبير عن الرابطة التي تربط بين جماعة من الناس من اصل واحد وتتكلم لغة واحدة ولها تاريخ مشترك وتركيب نفسي متشابه في العادات والتقاليد وتعيش على ارض واحدة ارتبطت بها تاريخيا . وضمن هذه القومية تتواجد عادة الطبقات ابتداء من البروليتاريا ، الطبقة العاملة التي لا تملك سوى قوة عملها ، انتهاء بالبرجوازية التي تملك وسائل الانتاج ورأس المال . اذن فوجود قومية بروليتارية لا يمكن ان يكون الا في ظروف سيطرة الطبقة العاملة على الحكم واسقاطها لسيطرة البرجوازية وتجريدها من وسائل الانتاج ، اي عندما تصبح وسائل الانتاج ملكا مشتركا لافراد القومية وتزول الفوارق الطبقية الموجودة . وهذا غير موجود سوى في البلدان التي انتصرت فيها العلاقات الاشتراكية ، وبها ايضا لا يوجد مثل هذا التعبير . وعلى اي حال سواء وجد هذا التعبير أم لم يوجد فان هذا المفهوم لا ينطبق باي حال من الاحوال على « الحركة القومية العربية » في مرحلة تطورها الحاضرة . وهذه التسمية بحد ذاتها ضرب من الخيال والتلاعب بالالفاظ . ولنأخذ الجزائر مثلا على ذلك .

لقد قامت الثورة الوطنية التحررية فيها بقيادة جبهة التحرير الوطني والتي تمثل مختلف طبقات الشعب ـ عدا البورجوازية العميلة ـ وكانت اولى مهام هذه الثورة التحرر من السيطرة الاستعمارية الفرنسية. وما كاد يتم ذلك حتى حاولت البرجوازية ، وهي طبقة قومية ايضا ، السيطرة على كل شيء وتغيير هوية المستغل من « الفرنسية » الى «العربية» لكن جماهير الشعب الكادحة التي تحملت اعباء الثورة الرئيسية رفضت ذلك رفضا باتا ، وبدأ صراع من نوع جديد ، لم يخففه ويشفع له كون الجميع ابناء « قومية واحدة» . بل ان التناقضات قد اشتدت داخل « القومية الواحدة » بين البروليتاريا وفقراء الفلاحين من جهة والبرجوازية الداخلية مستندة الى الاستعمار من جهة اخرى . ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لمصر ، فان هذا الصراع بين ابناء البلد الواحد قد وجد التعبير عنه بقوانين الاصلاح الزراعي والتأميم والتي بدأت بعد يوليو ١٩٥٢ ولم تنته بعد حتى يومنا هذا .

فالقضية اذن ليست قضية « قومية بروليتارية » بقدر ما هي ، من هو صاحب السيادة في هذه القومية : البرجوازية ام البروليتاريا ؟

***

بعد أن عرض الاستاذ صفدي افكاره بخصوص « الثورية العربية » من ناحية نظرية وفلسفية ـ انتقل الى نقطة جديدة وهي الماركسية ككل والماركسيين العرب ، والى مجال الاستفادة من النهج الماركسي في « الطريق الثورية العربية » . ففي الوقت الذي يعترف به الكاتب في مقاله بضرورة الاستفادة من النظرية الماركسية من حيث توضيح المشاكل الرئيسية وهي كما سماها كاتب المقال « المسألة الميتافيزيقية والمشكلة الانسانية والمسألة الاجتماعية » ، فانه يوجه كثيرا من الملاحظات او التهم للماركسيين العرب ويورد شيئا جديدا اسماه « الماركسية العربية » . وهذه التسمية كما اعتقد من « تأليف » الكاتب نفسه . فطبيعة الماركسية باجزائها المكونة الثلاثة لا يكن ان تكون المانية او عربية او صينية ، بل هي نظرية فلسفية ـ اقتصادية واجتماعية ، ذات محتوى اممي انساني تبحث تطور المجتمعات والعلوم بغض النظر عن هويتها القومية . بل ان نشأتها لم تتبع لخبرة او ثقافة امة معينة بل جسدت وطورت الفلسفة الالمانية والاقتصاد السياسي الانكليزي والاشتراكية الفرنسية ، في النصف الثاني من القرن الماضي ، وخلصت منها الى تحليل انساني .

اما ما ورد من « انقسام الماركسية الى ماركسيات » في يومنا هذا فان ذلك اما عدم المام كاف بالماركسية ومقوماتها واما محاولة للخلط ما بين النظرية الماركسية من جهة ، والتكتيك ـ الخطة في تطبيقها ـ من جهة اخرى . فالاختلاف في التطبيق او في بعض مظاهر التطبيق الذي نشاهده اليوم ، لا يغير او يعدل في الفلسفة المادية ولا في نظرية رأس المال والقيمة الزائدة ، ولا في اسس ومقومات علمية مبنية على تحليل مادي لظروف تطور تاريخية ملموسة . بل هو اختلاف او تباين في الوصول الى هدف ، ولم نسمع ان اختلف حول الهدف الثاني احد من الماركسيين وادى بالتالي الى وجود « ماركسيات » . والتكتيك يعترف بل ويحتم ان يأخذ كل شعب او امة بظروفها الخاصة والموضوعية بعين الاعتبار وان يسلك السبيل الذي يمثل امتدادا للحركة الوطنية التحررية امتدادا لتاريخ هذا الشعب ، بل امتدادا لعاداته وتقاليده ايضا .

اذن فكل خلاف او اختلاف في التطبيق لا يمس الماركسية او يغير من قيمتها النظرية او يضعها موضع التشكك . بل ولا يقسمها الى ماركسيات كما يقول كاتب المقال . ان النضال من اجل اتباع كل بلد لظروفه الخاصة في الوصول الى الغاء استغلال الانسان للانسان ، شيء ناضل من اجله كبار الماركسيين في العالم ، ولينين كاكبر مفكر ماركسي لعصرنا ، والذي طبق الماركسية وطور الاستراتيجية والتكتيك للماركسية في عصر الامبريالية ، قد خاض نضالا نظريا ـ فلسفيا واقتصاديا ـ وعمليا ضد كل محاولة لصبغ الماركسية بالصبغة الجامدة وتجريدها من ديناميكيتها . واثبت عدم ضرورة قيام ثورة عالية في آن واحد . ونادى بضرورة مناصرة اي حركة ثورية ، تهدف الى تحرير الشعوب من الاستعمار والاستغلال الرأسمالي . لقد ايد بحزم حركات التحرر الوطني لشعوب الشرق في ايران ومصر وشمال افريقيا وغيرها ، وقال ان على هذه الشعوب ان تسلك طرقها الخاصة بها في تحقيق اهدافها . وهكذا دخلت اللينينية كعنصر مكمل للماركسية ابعد عنها كل محاولة لتحويلها الى « رموز » و « كليشهات » او «حذلقة وغرور» .

فقول الاستاذ صفدي « فبعد ان استطاعت القومية العربية ، بمنطلقاتها الفكرية الاولى ، وادواتها الثورية المعهودة ، ان تحقق ذروات حقيقية في تجربتها الثورية الخاصة ، يحاول (البعض) ان يحشروها حشرا تحت عنوان اصطلاحي ، ليفسرها بمختصراته الايديولوجية ، هي الماركسية . وبدلا من ان ننظر الى انتصارات تجربة القومية العربية ، ونتخذها دليلا على صحة طريقها الخاص الى الاشتراكية فان هذا (البعض) يعكس الاية تماما ، ويجد ان هذه الانتصارات لا تعللها الا نظرية اخرى ، تعجز دونها نظرية القومية العربية . انه قول يحتاج لبعض المناقشة لان ما ورد في المقال حتى الان هو رد على كثير من النقاط الواردة هنا وهذه الفقرة بالذات هي المحاولة لمعارضة الماركسية بنظرية القومية العربية .

اما المنطلقات الفكرية الاولى ـ اي الشق الفلسفي فقد اظهرنا انه اما ان يكون ماديا او يكون مثاليا ـ واعتقد هنا ان الفلسفه المثالية اعجز من ان تعطي مقتضيات الثورية العربية . ومن السهولة الوصول الى ذلك او التدليل عليه لكل مطلع . اما الادوات المعهودة ، فلا نـدري ا كانت غير التخلص من السيطرة والاستغلال سواء كان استعماريـا ام « قوميا » وذلك عن طريق نضال الطبقات الكادحة ـ البروليتاريـا والفلاحين والمثقفين ـ وذروات التجربة الثورية الحقيقية هي التـي تحققت على ذرى الاوراس في الجزائر وذرى الاهرام في مصر . فهـل في هذين البلدين ـ كما ذكرنا ـ غير التحرر من السيطرة الاستعمارية اولا ومن ثم القضاء على الاستغلال وتوطيد السلطة لفئات الشعـب العاملة ـ من بروليتاريا وفلاحين فقراء ، وضرب البرجوازية والرأسمالية والغائها كطبقة ونظام اجتماعي ، واكثر من ذلك تطبيق مبدأ التضامـن الاممي مع الشعوب المضطهدة بغض النظر عن هويتها القومية ، وكذلـك اقامة احسن العلاقات مع البروليتاريا المظفرة في الاتحاد السوفياتـي والدول الاشتراكية ؟ اذن فحشر التفسير بالمختصرات الايديولوجية تحت عناوين اصطلاحية ليس هو الماركسية وحتى لو قام بذلك بعض((البعض)).

فاين التعارض مع الماركسية هنا ؟ على كل حال ان وجد فهو في رؤوس البعض الاخر ، وليس في الطريق الذي تسير به الحركة الثورية العربية في زحفها المظفر .

واود هنا ان اكرر « بانه ان وجد خلاف او تباين في السبيل من قبل جماعات مختلفة في بلدان مختلفة او بلد واحد ، وتحت ظـروف اجتماعية وسياسية واقتصادية مختلفة ، وحتى وان وجد خطأ كبر ام صغر في مجال التطبيق والخطة ـ التكتيك ـ فان ذلك يجب ان لا يترك لنا العنان للخلط بينه وبين النظرية ، لان ذلك لا يخدم الفكر العربـي الذي اغنى طيلة تاريخه الفكر العالمي واغتنى ويجب ان يفتني به » .

وفي القسم الاخير من المقال يتطرق الكاتب الى قضية تحـول المجتمعات ، سواء في الدول النامية المتحررة حديثا ، ام في الـدول الرأسمالية الصناعية . وبعد مقدمة قصيرة ينتقل الكاتب وبسرعـة كبيرة الى قضية جديدة في نظرية النضال الطبقي اذ يقول « وان الانفجار الداخلي للمجتمع الرأسمالي ، سوف يبقى معطلا مؤجلا الى امد بعيد ، ما دامت البروليتاريا في هذا المجتمع ، تؤلف هي نفسها طبقة مستغلة، وجزءا من المجتمع المستغل ككل بالنسبة للمجتمعات النامية الاخـر . وهذا ما يجعل استراتيجية المعركة بين الرأسمالية والبروليتاريا تتحول من النطاق الاجتماعي الداخلي الى صراع قومي بين دول استعماريـة وشعوب جديدة ناهضة » ثم يتبعها بعد اسطر ثلاثة بالاستنتاج التالـي « وهكذا انتقلت المعركة الطبقية داخل المجتمع الواحد ، الى صراع عالمي بين قوميات رأسمالية استعمارية ، وقوميات شعبية مناضلة ، يمكـن وصفها بانها (قوميات بروليتارية) » .

اما كون « البروليتاريا في المجتمع الرأسمالي تؤلف هي نفسهـا طبقة مستغلة » فهذا ليس نوعا من السطحية بل نوع من الجهل المطبق في قضية التحليل الطبقي . واما كونها جزءا من المجتمع المستغل ككـل بالنسبة للمجتمعات النامية الاخرى ، فهذا يحتاج الى نقاش . صحيح انها جزء من المجتمع الرأسمالي وهي الجزء المستغل (بفتح الغين) . وما تتقاضاه من اجر هو اقل بكثير مما تنتج ، ومـا تستطيع شراءه بـدل بيعها قوة عملها ، هو بحد ذاته نهب لها . فصفة الاستغلال اذن لا يمكن نشرها ذات اليمين وذات اليسار. بل هي ان يتقاضى الانسان العامل ـ اكثر مما انتج او عمل . وهذه الصفة هي ابعد ما تكون عن الطبقـة البروليتارية داخل المجتمع الرأسمالي ـ والا بماذا نفسر الاضرابات التي يشترك بها عشرات الملايين من العمال في العالم الرأسمالي نفسه كل عام؟ انها بالضبط للحصول على نصيب كبير مما تنتج او وضع حد لنهـب اتعابها من قبل الرأسمالية . والاجدى هو البحث عما ينهب من الشعوب المستعمرة ، ليس في حساء البروليتاريا الهزيل في الدول الرأسمالية ـ الهزيل نسبيا لما تنتج ـ ، بل في كروش وجيوب اصحاب المصانـع الرأسماليين ، في الملايين التي تنفق لتحضير الحروب واثارتها والتـي تكون البروليتاريا في الدول الرأسمالية وقودها .

ويكفي دراسة ميزانية اي دولة رأسمالية استعمارية ونظام اجورها وسياسة الاسعار فيها ، لنرى باي بشاعة وسفالة تستغل الرأسماليـة ابناء قوميتها وابناء القوميات الاخرى . وقد اثبت التاريخ ان البروليتاريا تعيش احسن بما لا يقاس ، عندما تنتهي سيطرة امتـ « ـها » علـى الامم الاخرى وتأخذ مقاليدها بيدها وتستغل خيرات بلدها لشعبها. انهـا البروليتاريا الروسية ، والتي كانت جزءا من المجتمع المستغل (بكسـر الغين) لشعوب آسيا الوسطى ، هي بعينها التي تضع يدها بيد هذه الشعوب طارقة ابواب المجد ، فاتحة مرحلة جديدة من مراحل التاريخ : مرحلة التآخي بين الشعوب والقوميات ، متجسدة في انذارها المشهـور للمعتدين على سيادة العرب في مصر ، في بناء السد العالي ، فـي ذخيرة مناضلي الجزائر ، مدافع وبنادق في حربهم التحررية البطوليـة ومختبرات ومصانع في فترة البناء ، ليس للعرب فحسب بل لشعـوب العالم الناهضة قاطبة .

وفيما يخص البروليتاريا في البلدان الرأسمالية الامبريالية حاليا ـ الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا ، المانيا الغربيـة ، البرتغال ، اليابان ، وغيرها ـ فهل تحولت البروليتاريا فيها فعلا الـى بروليتاريا « مستغلة للشعوب » ؟ هل الفت او اوقفت نضالها الطبقي في الداخل وتوجهت مع « قوميتها الاستعمارية » للصراع ضد « القوميات الشعبية البروليتارية المناضلة » ؟

الجواب لا ولا يمكن ان يكون غير ذلك لان طبيعة النضال بـين البروليتاريا والبرجوازية لا تحدده الرغبات او حسن النية وسوءها ، بل هو نضال موضوعي يعمل لحل التناقض بين العمل ورأس المال . فـلا مجال اذن لوقفه او الغائه ، وتبقى القضية قائمة الى ان يحل التناقض داخل هذه المجتمعات ، ولن يحل الا بانتصار العمل على رأس المال ، كما اوضح مؤسسا الاشتراكية العلمية كارل ماركس وفريدرك انجلز وكمـا يثبت سير التاريخ الحديث ابتداء من كومونة باريس حتـى اختيـار شعوب كثيرة لطريق التطور الغير رأس مالي في بناء اقتصادها ، اي بناء الصناعة والزراعة على اسس اشتراكية والغاء استثمار الانسان للانسان بجميع اشكاله .

فالصراع الطبقي هو نضال غير محدد القومية ، هـو سير للتاريـخ تتضامن فيه البروليتاريا العالمية بشكل موضوعي تحدده طبيعة المعركـة الدائرة . وهـذه المعركة ـ كاي معركة ـ بهـا انتصارات وهزائم لكـن اتجاهها محتوم ، انه انتصار البروليتاريا على الرأسمالية .

ادركت البرجوازية خلال المعارك الكثيرة بان وحـدة البروليتاريا ـ سواء في بلد واحد ام على نطاق عالمي ـ هو الخطر الاكبر الـذي يتهددها . ومحاولة منها للحفاظ على وجودها واطالة لعمر الرأسمالية ، عمدت البرجوازية الى اتباع اساليب عديدة ، كلهـا وبدون استثناء ، موجهة لفك وحدة الحركة البروليتارية على التطاقين الوطني والعالمي . ولتحقيق ذلك تتصرف البرجوازية ـ بصفتها الطبقة المالكة لوسائـل الانتاج ـ بجهاز ضخم للدعاية ، جيش مـن الصحفيين والنظريـين والكتاب ، دور للاذاعة والنشر . بالملايين من وحدات النقد تصرفها لشراء ذوي النفوس الضعيفة من ابناء الطبقة العاملة ، تضعهم فـي قيـادة النقابات والتنظيمات العمالية الاخرى لحرف العمال عـن اعدائهـم الحقيقيين وتوجيههم ضد مصالحهم ذاتها . واخيرا وليس اخرا بجهـاز قمع ضخم مسلح باحدث الاسلحة ـ البوليس والجيش ـ يتحرك وفـق مشيئتها لقمع اي حركة تهدد مصالح هذه البرجوازية سواء في الداخل ضد ابناء قوميتها او في الخارج ضد ابناء القوميات الاخرى . فهـذه طبيعة المعركة . وهذه القوى كلها تقف امام البروليتاريا وحلفائها .. فلا عجب هنا ان لم يتحقق بعد انتصار البروليتاريا على الرأسمالية فـي العالـم اجمـع .

الا ان اخطر الاسلحة التي تستخدمها البرجوازية في هذا المجال ، هو سلاح استغلال المشاعر القومية ، وايهام الطبقة العاملة بـان الدفـاع عن المصالح البرجوازية هو دفاع عن « المصالح القومية » . لـم تستطع

البرجوازية في يوم من الايام دفع البروليتاريا للحرب العدوانية الا بعد تفكيك وحدتها وزرع الاوهام بين صفوفها والقضاء على طليعتها الواعية بالحديد والنار . لكن رغم عدم تكافؤ المعركة في البداية فقد حققت البروليتاريا انتصارات هائلة على الصعيدين الوطني والعالمي . فالقضية اذن ليست قضية تحول البروليتاريا الى طبقة مستغلة (بكسر الغين) ، بقدر ما هي انهزام وقتي للبروليتاريا من الناحية التنظيمية والسياسية في بعض البلدان الرأسمالية . وظواهر الهدوء النسبي الموجودة في بعض البلدان الرأسمالية تهزها اضرابات العشرات من ملايين العمال في كل عام ويكشف قبحها ملايين العاطلين عن العمل .

اذن فاين نقف عندما نقبل القول بان القضية هي قضية قومية وباننا « قومية بروليتارية » نناضل ضد « القومية الرأسمالية » ؟

عندئذ نقف في صف غلاة الرجعية البرجوازية التي دأبت طيلة تاريخها على تحقيق مصالحها الانانية في استعباد الشعوب الاخرى على حساب الجماهير الكادحة ، وذلك عن طريق ايهامها بانها تقاتل دفاعا عن مصالح الامة بكاملها . واكثر من ذلك تضع بيدها السلاح الذي تستخدمه لمحاولة اقناع الجماهير ، بان القضية ليست صراع شعوب مستعبدة مع مستغليها ـ الاستعمار ـ بل هو صراع قومي ، اذا لم تخضه الطبقة الكادحة فمعنى ذلك « نهاية الامة » . والاخطر من ذلك هو تبنينا بل نشرنا لنظرية حتمية الحروب بين الشعوب ، ما دمنا نؤمن بحتمية الصراع بين الطبقات ، وعندما نراقب الشعوب كشعوب « رأسمالية » وشعوب « بروليتارية » .

اما الحرب الدفاعية المقدسة التي تخوضها الشعوب فهي لا تعني اطلاقا القتال ضد الامة الاخرى ، بل ضد رأسماليتها ـ كطبقة واستعمار، ضد العدوان ـ . ومصلحتنا كشعب مناضل ليست استثارة عداء قومي ، بل عداء طبقي يمكننا عن طريقه كسب فئات واسعة من ابناء « القومية » المعتدية ، الى جانب قضيتنا .

ولو اخذنا الثورة العربية الجزائرية كمثال ـ حتى توقيع معاهدة ايفيان على اقل تقدير ـ فنستطيع القول ان البروليتاريا الفرنسية لم تقف في يوم من الايام ككل مع البرجوازية الفرنسية ، وان وقفت قطاعات منها موقف المتفرج لبعض الوقت ، فان بطولة الشعب الجزائري وعدم وضعه القضية « ضد كل ما هو فرنسي » ، ادى بالتدريج السريع ليس لكسب البروليتاريا الفرنسية لجانبه فحسب ، بل وقطاعات كبيرة وهامة من الفئة المثقفة الفرنسية ـ نذكر منها جان بول سارتر كمثال لالاف المثقفين الفرنسيين الذين دافعوا ، مع البروليتاريا الفرنسية ، عن احقية الشعب الجزائري بالحرية وتقرير المصير ، بالفعل وبالكلمة الشريفة ضد « حرب الجزائر القذرة » .

ولا اعتقد ان احدا يشك بان موقف الشرفاء من الفرنسيين قد ساعد على وقف الحرب في الجزائر ، كما حملت هذه الفئة عبئها في شل نشاطات الفاشيست الفرنسيين والتي تجسدت في منظمة الجيش السرية (OAS) ، والتي كانت مدعومة من غلاة الرجعية البرجوازية وكان شعارها الدفاع عن « مصالح فرنسا ! » بل وان اكبر مظاهرة شهدتها باريس في تاريخها الحديث ، كانت تظاهرة الشعب الفرنسي مع حرية الشعب الجزائري . وفي الوقت نفسه كان البعض من « الجزائريين » يتآمرون على مصير الثورة المظفرة .

فكيف لنا اذن ان نفهم او نقبل نظرية « القومية الرأسمالية والقومية البروليتارية » ؟!

من الناحية التاريخية فان هذه المحاولة « النظرية » ليست بجديدة على الاطلاق ، فهي خطيئة معظم زعماء ونظريي الاممية الثانية وبعض زعماء الاشتراكية الديمقراطية في ، عصرنا الحالي ، في محاولة تبرير تخليهم عن اهداف البروليتاريا بل وخيانتها بحرفها عن عدوها الطبقي .

انها نظرية غريبة ومستوردة تتناقض تناقضا صارخا مع مجرى وطبيعة التطور الجاري في وطننا العربي . هدفها ذر الرماد في العيون وتحويل الانظار عن الرجعية الداخلية اثناء حبكها المؤامرات مع الرجعية الاستعمارية العالمية ، لنسف مكتسباتنا الحالية مكتسبات قوى الشعب العاملة ، في محاولة لوقف عجلة التاريخ .

(لايبزج) **محمد عباس بكر**

كلمة الى البصير

بقلم ناجي علوش

عندما قرأت ما كتبه عبد الرزاق البصير حول قصيدة خالد ابو خالد « على الصليب » وجدت نفسي مضطرا للرد للاسباب التالية :

اولا : لقد عشت مع خالد ابو خالد خلال الفترة التي ولدت بها القصيدة وقرأتها قبل ان تصل الىشكلها النهائي وبعد ان ظلت معي مدة ارسلتها بنفسي لمجلة الاداب (وليس فاروق شوشة كما تدعي صحيفة محلية) .

ثانيا : ثبت لي بشكل قاطع ان الاستاذ عبد الرزاق البصير لم يفهم القصيدة وانه تجنى على خالد ابو خالد نتيجة لذلك .

ثالثا : آلمني جدا ان يلجأ عبد الرزاق البصير الى اسلوب«مباحثي» يستهدف ايقاع الضرر بالشاعر خالد ابو خالد .

ولنبدأ القصة من اولها .

منذ مدة طويلة ، اخبرني خالد ابو خالد انه كتب قصيدة،وقرأت انا مسودة القصيدة واقترحت عليه ان ترسل لمجلة الاداب . ولم تكن القصيدة حينذاك معنونة ولا مهداة . واعطاني خالد القصيدة وظلت عندي . وبعد مدة نشرها في مجلة محلية ـ دون اهداء ـ لاني تأخرت في ارسالها للاداب .وقدارسلت انا القصيدة في اوائل ايلول ونشرت في عدد تشرين الاول (اكتوبر) وفوجئت بعد نشرها بالاستاذ عبد الرزاق البصير يكتب تعليقا في صحيفة محلية بعنوان « لقد ظلمت بلدي يا خالد اشد الظلم » . وهذا التعليق هو عين التعليق الذي نشر بالاداب . وكانت النتيجة ان خالد ابو خالد ـ بسبب اتهام عبدالرزاق البصير وسوء فهمه للقصيدة ـ تعرض لموقف حرج واستدعي لمقابلة وكيل وزارة الارشاد والانباء للتحقيق في الامر ، وهاجمته احدى الصحف مهاجمة شديدة وما زالت تهاجمه وتطالب بابعاده من الكويت .

لقد فهم عبد الرزاق البصير القصيدة على النحو التالي : انفاروق شوشة غادر الكويت برغبته وان خالدا لعن الكويت نتيجة لذلك . وهذا بالطبع تفسير عشوائي لا يمت للقصيدة بصلة .

ويعرف عبد الرزاق البصير ان خالدا ليس من هذا الطراز الذي يلعن قطرا عربيا لان موظفا خرج منه . كما يعرف ان خالدا بالذات لا يدين بالولاء لفرد ولا يناقض مبادئه القومية من اجل علاقة شخصية . هذا بالاضافة الى ان خالدا يعرف قبل غيره ان فاروق شوشة غادر الكويت برغبته . فلقد قال بعد ايام من وصوله بانه لن يبقى اكثر من عام في الكويت .

والعجيب الغريب ان يربط مضمون القصيدة بسفر فاروق شوشة . فهي قصيدة كتبت قبل ان يترك فاروق الكويت بمدة طويلةكما ذكرت وهي من حيث المحتوى ليستوداعا وليست خطبة وداع . انها تعبير عن لحظة شعرية غنية ، غير مرتبطة بحدث معين ، لانها بنت تجربة وتاريخ هما تجربة خالد ابو خالد وتاريخه ، وهما يرتبطان بوعي تتخطى جذوره وفروعه حدود الكويت والوطن العربي الى العالم . وهذا ما لا يستطيع ان يفهمه عبد الرزاق البصير ، لانه ببساطة رفض ما عرفه عن تجربة خالد هذه ، ولانهببساطةايضا ليس شاعرا ، وليس اديبا ، وليس ناقدا ادبيا .

اما لماذا رفض ما يعرفهعنتجربة خالد الواعية الواسعة ، فهذا

بالطبع سهل تفسيره ، اذا عرفنا ان عبد الرزاق البصير يريد الان ان يلفت النظر الى نفسه ، مدافعا عن الكويت في سبيل منافع ومصالح سعى اليها طويلا فلم تتحقق ولكنها اخذت تتحقق عندما اختارته وزارة الارشاد والانباء عضوا في المجلس الاعلى لشؤون الاذاعة والتلفزيون ، بعد ان كان من صغار الموظفين .

وعبد الرزاق البصير ليس شاعرا ، ولا اديبا ولا ناقدا ادبيا ، لانه لم يسبق له ان قدم للقارىء العربي شعرا او ادبا او دراسات نقدية . وكل ما اعرفه له – على الرغم من ان معرفتي له عمرها اكثر من ثماني سنوات – لايتعدى التعليقات التي لا تزيد في مادتها عن تعليقه الاخير الذي نشرته مجلة الاداب وهي تعليقات مضطربة كثيرة الحشو . وثلاثة ابيات من شعر المدح صدرت في نشرة رسمية .

ومشكلة قصيدة خالد ابو خالد انها ليست من الشعر التقليدي الذي يسهل تفسيره ويستطيع هواة الادب ان يعلقوا عليه تعليقاتهم المألوفة مثل التشبيه لطيف مبتكر والوزن مستقيم ، والكلمات مستأنسة الخ. فهي من الشعر الحديث حقا الذي يحتاج الى وعي نقدي عال ، لا يتوفر للاستاذ البصير مع الاسف ولو القليل منه .

وكنا نود لو ان عبد الرزاق البصير اتصل بخالد ابو خالد وحاول ان يفهم منه ما يعنيه من القصيدة ، او لو طالب بايضاح ما غمض عليه من القصيدة ولكنه قرر ان يفتح معركة ، وان يتابعها ، متابعة استعدائية عشوائية .

ونحن اذ نعرب عن المنا لمثل هذا الموقف ، الذي يحول النقد الادبي عن وظيفته ، ويجعله مجرد استعداء ، نعرب ايضا عن استنكارنا للموقف العدائي الذي وقفته جريدة « صوت الخليج » من خالد ابو خالد .

الكويت — ناجي علوش

لم يبق إلا الاعتراف

الديوان الجديد للشاعر العربي المبدع

احمد عبد المعطي حجازي

يصدر هذا الشهر

حول قصيدة « على الصليب »

بقلم خالد ابو خالد

الهجوم المنشور في عدد مجلة الاداب الماضي على قصيدتي « على الصليب » سبق وان نشره صاحبه في صحيفة « الهدف » المحلية ، وقد رددت عليه في نفس الصحيفة وقبل التحدي ، وبعث بهجومه الى الاداب.

وحسنا فعل ، ففي الاداب من الادباء من هو كفيل بالرد عليه ، دفاعا عن الكلمة التي صلبها ، وا غتالها واثار حولها من الشبهات ما يهدد شرفها ، وقدسيتها .. ولتعذرني الاداب .. وقراؤها وكتابها .. اذ انشر نفس الرد الذي سبق ونشرته صحيفة الهدف . وهذا هو الرد مع بعض الزيادات التي نتجت عن ردود الاستاذ البصير على الذين دافعوا عن شرف الكلمة في صحف الكويت .

واود قبل ان اورد ردي .. ان اؤكد قبل كل شيء للاديب العربي هنا على صفحات الاداب .. انني لم ، ولن اتخلى عن محتوى القصيدة مهما كانت النتائج والاحتمالات .. وهذا هو الرد مع التأكيد على ايماني المطلق بعروبة الكويت .

« تعرفني اكثر من غيرك ، وكانت لي بك علاقة عمرها الان اربع سنوات ، تحدثنا خلالها في اكثر من موضوع ، وبالذات في موضوع عروبة هذا البلد ، والقوى المعادية التي تهدده . وكان لي موقف العربي المؤمن بوحدة امته من المحيط الى الخليج ، بوحدة شعبها وارضها من هذا البحر الى ذاك . ورغم ذلك حاولت ان تسلخني عن عروبتي ، عن حتمية انتمائي لهذه الامة ، قلت انني احقر هذا البلد ، وشعب هذا البلد ، وقلت :« ظلمت بلدي يا خالد اشد الظلم » .

انه ليس بلدك وحدك ، انه بلد مئة مليون من البشر ، انه بلدي انا ايضا ، على هذه الارض اكتشفت حقيقة وجودي كعربي ، ولن تجردني انت من هذه الحقيقة ، لقد جئت الى هذه الارض فتى ، وفوق رمالها بلغت سن الرشد ، وتفتح وعيي على كل حبة رمل فيها . ومن اجل هذه الارض ، وشعب هذه الارض ، وعروبة هذه الارض ، على استعداد للصلب فعلا ، للذبح ، للشنق ، للسحل ، بنفس القدر الذي انا على استعداد فيه لكل هذه المصائر في سبيل تحرير ارضي المحتلة . انت تعرف ذلك .

اني اتهمك بمحاولة اسقاط « ذاتي عروبتي » عني .. واني اطلب منك باسم الكلمة ، ان ترد لي اعتباري امام مواطني ابناء الوطن العربي في الكويت وخارج الكويت .. اني اطلب اليك ذلك كعربي اسندت اليه تهمة تفتقر الى كل برهان . والذي يهمني فعلا هو انك تعرف ان تأكيد الطابع العربي لهذا البلد كان ملموسا في سلوكي تجاهك ، وتجاه مواطني الاخرين من ابناء الكويت وغير الكويت .

ومعارفي من ابناء الكويت هم من تعرف ، وانت تعرف انني لست شعوبيا ولكنني عربي . ولا اذكر ولا تذكر انت ولا يذكر احد انني اسأت لعروبة هذا البلد يوما ، سواء من خلال برامجي ، او من خلال ما اكتب او اقول . فما هو الرصيد في اسناد التهمة ؟

كان من الممكن بل من الواجب ان تسالني تفسيرا للقصيدة قبل ان تكتب ما كتبت . لانك على صلة بي او لاني على اتصال بك . كان من الممكن ان اوضح لك ما غمض عليك ، او ما فسرته على غير ما هو عليه ، وامتدحته عندما نشر في « اضواء المدينة » قبل اشهر ..

امتدحته وكل من يعرفك يعرف رفضك لتجربة الشعر الحديث ، ويعرف تقريرك في اكثر من موقف بان هذا الشعر ليس شعرا ، وانه يرفض الخضوع لمقاييس الشعر التقليدية .. فكيف فسرت شعرا ترفضه من اساسه ، وتطبق عليه مقاييس الشعر التقليدية هذه المقاييس التي لا يخضع لها الشعر الحديث فعلا ، ثم ما معنى قولك في معرض

ردك على الاستاذ الياس عبود ، والاستاذ علي السيار في صحيفة الرأي العام المحلية « اما سبب تفسيري لقصيدة الاستاذ خالد ابو خالد على النحو الذي بينته فيما سبق فانه يرجع الى امر واحد فقط هو اني اكره الغموض والابهام واني اميل بطبعي الى الصورة التي ترسمها القصيدة » هل معنى هذا ان تفسر القصيدة على النحو الوارد بسبب غموضها ؟

ثم ما معنى « والشيء الذي احب ان اؤكد عليه هو اني لم اقصد ايذاء الاستاذ خالد »وهو ما ورد في نفس الرد .. لقد قصدت ان تؤذيني وقد آذيتني فعلا .. هل ازعجك اهداء قصيدة لصديق ؟ انعلاقة فاروق شوشة بالقصيدة لا تتعدى كونها مهداة له .. وهي ليست رشوة لفاروق شوشة ولكنها هدية ، وهدية صديق لصديق ليست جريمة « لا يجب السكوت عليها بحال من الاحوال » . ثم ان عبارة الى الصيق فاروق شوشةليست موزونة ، ولا تدخل في صلب القصيدة كجزء منها ، فلو حذفناها لما تغير موضوع القصيدة اطلاقا فهي ليست حجرا في بنائها ولا هيكلا تقوم عليه . اما قولك في جريدة « صوت الخليج » المحلية فيمعرضردك على الاستاذ علي السيار بان القصيدة التي نشرت في « اضواء المدينة » هي غير القصيدة التي نشرت في الاداب فهو قول مردود ..ذلك ان محتوى القصيدة لم يتغير .. وانما اعدت النظر فيها قبل ارسالها للاداب فحذفت منها بعض المقاطع واضفت اليها اخرى .. واعتقد ان هذا من حقي .. كما احب ان ازيدك علما باني بدأت كتابة هذه القصيدة بعد مجيء فاروق شوشة الى الكويت بايام وقبل أن تتحدد علاقتي به كصديق . وفاروق شوشة يعرف ذلك ، وكثير من الزملاء والاصدقاء يعرفون ذلك ايضا .

واحب ان اذكرك بان مؤتمر الادباء العرب سيعقد قريبا بعد اسابيع في بغداد ، واطلب اليك أن تدفع بالقصيدة وتفسيرك لها الى منصته على لسانك او لسان غيرك وانا اقبل حكم ادباء العرب في هذه القضية.

ثم ماذا ؟ انت الانتطلبمني تفسيرا للقصيدة .. وما كان يجب ان افسر ، لان الشاعر هو اخر من يطلب اليه تفسير ما يكتب ، فالتفسير مهمة الناقد ، الناقدالذييفهم رموز القصيدة ، ودلالاتها ، ومدىتجاوزها للزمان والمكان على اسس نقدية سليمة وفهم واع لنفسية الشاعر وقضيته . ولكن .. وقبل ان افسر القصيدة ساضع بين يدي القارىء بعض الملاحظات الهامة .

اولا : تعتمد حركة الشعر الحديث على الرمز ، والرمز في الشعر الحديث لا يقوم مقام التشبيه فيالشعر التقليدي . ان له وظيفة ابعد اثرا واكثر اهمية ،ذلك انه يكسب الشعر نوعا من العمق والشمول ، ولذلك لا يجوز تفسير الرموز تفسيرا حرفيا . فكلمة « المحار » الواردة في القصيدة رمز لاي هدف لا يمكن الوصول اليه دون تعب ، وحين نقول « بحيرة من قار » نقصد مكانا لا يمكن الحياة فيه وحين نقول « الجراد واليهود ، نقصدالقوى المخربة الغازية ، وهكذا فالمعنى العقلي للرمز « الجراد » هو انه يأتي دائما من الخارج ليمتص الخير من الارض التي قدم اليها .. والرمز قديستقى من بيئة معينة ، ولكنه لا يرتبط بهذه البيئة عندما يدخل صلب القصيدة . الرمز في القصيدة جزء منها هي تفسره اما هو فلا يفسرها . وكذلك الحال بالنسبة الى كلمة((هنا))في القصيدة.. فموضوع القصيدة هو الذي يفسر اين الهنا فيها وما تعنيه .

ثانيا : التصور الشعري ينبثق من نفس الشاعر في لحظة ولكنه يجمع شحنات من تاريخ طويل من المعاناة .. وهو لا يستمد مقوماته من جهة واحدة ، بلد او قرية ، انه نتاج تجاوب الشاعر مع العصر وقضاياه ، لم يعدالشاعر ـ يستثنى من ذلك ادعياء الشعر والنظامون ـ الذي تتحدد رؤيته بحدود بلد او مكان معين ، ان الشاعر اليوم يسمع للعالم ويتحدث مع العالم .

ثالثا : تسيطر على الشعراء المحدثين منذ نشوء المدرسة الرومانسية حتى اليوم روح التغرب والوحشة ، وهي روح ترفض كل جدب وعبث بطرق مختلفة ، وميزة هذه الروح انها تبحث عن الحرية للانسان وتفضح دائما العوامل السلبية في الكون .

رابعا : هذا النوع من الشعر لا يفهمه الا من يملك اسسه النقدية، فكيف يفسره الاستاذ البصير وهوالذي يرفضه كشعر من جذوره ، ولا يعترف بالمدرسة النقدية التي ينتمي اليها .. بالاضافة الى ان الاستاذ البصير لم يورد اية عبارة نقدية واحدةيقيس بها محتوى القصيدة .

خامسا : نشر شاعر من الكويت هو علي السبتي على صفحات « اضواء المدينة » المحلية قصيدة « عودة الى الارض الخراب » قال فيها:

عدت من جنة احلامي الى الارض الخراب
عدت للدار التي تصفعني بابا فباب
عدت يا قبر الشباب
مرغما يسحقني القيد يدمي معصمي .. الخ..

ونشر احمد عبد المعطي حجازي ديوانا اسماه « مدينة بلا قلب » وكان موجودا في القاهرة . ونشر الشاعر رفيق خوري ديوانا اسماه « غابة الحجارة » وهو في بيروت، والديوان يحمل اهداء لبيروت ، ومن قصائده :

حبلت ارضي
حبلت فترينات الشارع
بالزيف باشجار البغض .. الخ ..

كما نشر الشاعر خليل حاوي في ديوانه « نهر الرماد » قولهفي قصيدة تحت عنوان « ليالي بيروت » :

في ليالي الضيق والحرمان
والريح المدوي في متاهات الدروب
من يقوينا على حمل الصليب ..
ما الذي ابقت عليه النار من بيتي واتعابي
ومن تاريخ عمري ..

ولقد نشر الشاعر عبد الرحيمعمر في ديوانه « اغنيات للصمت »:

« تفر واين المفر
وفي كل صوت صليب واسر »

وفي قصيدة اخرى :

ايا جدار الصمت يا جدار
حتام يا جدار
تلفنا دوامة الفناء والبوار

ويقول الشاعر الكبير بدر شاكر السياب في ديوانه «انشودة المطر»:

مدينتنا تؤرق ليلها نار بلا لهب
تحم دروبها والدور ثم تزول حماها
ويصبغها الغروب بكل ما حملته من سحب
فتوشك ان تطير شرارة ويهب موتاها .. الخ..
الى ان يقول ..
كان نخيلنا الجرداء انصاب اقمناها
لنذبل تحتها ونموت .

صدر حديثا

الثمن ق.ل

هوامش

بقلم : ميخائيل نعيمة ٤٠٠

ميخائيل نعيمة الاديب الصوفي

بقلم : ثريا ملحس ٣٠٠

الناشر : دار بيروت — دار صادر

وتقول الشاعرة نازك الملائكة في ديوانها « شظايا ورماد » :

سكن الليل
اصغ الى وقع الانات
في عمق الظلمة تحت الصمت على الاموات ..
صرخات تعلو تضطرب
حزن يتدفق يلتهب .

وهذا شاعر اخر من الكويت : انه احمد العدواني .. وهذا قوله:

نحن هنا نغير الثياب والجلود
ونغسل الجماجم
الى ان يقول :
يا غدنا الاخضر
ما بيننا وبينك الصحراء
ترابها اصفر
وارضها خواء ..

والامثلة كثيرة والاستغراق فيها لا يتسع له المجال .. والسؤال الذي يجب طرحه الان هو ..

لماذا لم يحاسب على السبتي ، والعدواني ، وحجازي ، وحاوي ، والسياب ، ونازك ، وعبد الرحيم عمر وخليل خوري ، والاهم من ذلك لماذا لم يحاسب الشاعر البريطاني ت.س. اليوت لانه كتب قصيدته « الارض الخراب » وهو في قلب لندن ؟

لماذا احاسب انا ولا يحاسب كل هؤلاء ؟

السبب هو ان قصائدهم لم تفسر تفسيرا وظائفيا ..

وبعد هذا كله .. لا بد من ايضاح القصيدة ..

القصيدة على لسان العربي في الارض المحتلة يخاطب قادما ، وهذا القادم هو الانسان العربي الذي يولد ويعيش في ظروف قاتلة « بحيرة القار » ويحاول صوت الشاعر صوت اليقظة ، صوت الجيل ان يقول لهذا الانسان .. قف لا تنخدع ، انت ضائع . ظروفك قاتلة، لقد فشلت في تحرير هذه الارض « لا محار في بحار القار » انا هنا قبلك مصلوب ، وكان مصيرك مثلي تحذر كل قادم من القوى المخربة التي رمز لها « بآكلي الانسان والجراد واليهود » وبعد هذا يتوهم انسان الارض المحتلة انه تحرر من صليبه وسجنه وعذابه .. وان الانسان العربي، وهو في القصيدة ليس فردا وانما هو رمز للامة العربية تحرر من صليبه ايضا ، ويدعوه ان يقف قبل الافتراق ليقول له « غدا وما غد ببعيد » ان لحظة الخلاص قد حانت والصمت اجدى اثناء المعركة .

وتتشابك الرموز في القصيدة حتى ليكاد القارىء يظن بان المخاطب شخص مع انه ليس كذلك ، والقصيدة مهداة الى صديق ولكنها تخاطب الفدائي الانسان العربي الجديد .. وعلى كل فالشعر الرمزي يقرأ ولا يفسر لان اي تفسير له يفسره كشعره ..

اقول هذه الكلمات لا دفاعا عن نفسي ، فانا لم افعل ما يوجب الدفاع عن النفس ، بل ايضاحا لقضية شاء الاستاذ البصير ان يلبسها غير ثوبها فكانت النتيجة تهمة لا تستند الى برهان . والكلمة غالية ، اغلى من ان تسجن في قوالب ومفاهيم غير سليمة ، والتهمة مردودة ، ورد الاعتبار واجب والقراء ينتظرون .

وكلمة لا بد منها ، فقد يقول قائل ان « الارض المحتلة » لم ترد في القصيدة ، والردهو ان الشعر الرمزي لا يعتمد التعبير المباشر ،ولكنه يستخدم الرمز والايحاء ، والايحاء ارقى انواع الشعر على الاطلاق .. اما ما قاله الاستاذ البصير في معرض رده على من كتب يرد على هجومه « اما ان يصفني البعض باني استعدي السلطة ـ بالطبع علي ـ او انني اقوم بعملية التشويه ـ للكلمة بالطبع ـ فهو امر يجعلني لا التفت اليهم ولا الى غيرهم اي التفات ».

هذا القول اترك الرد عليه لقراء وكتاب الاداب الذين لا شك قرأوا هجوم الاستاذ جيدا ، وفهموا فحواه .. والقضية الان ليست قضية خالد ابو خالد .. ولكنها قضية الكلمة ..

الكويت

خالد ابو خالد

آخر منشورات «دار الاداب»

*** الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة** ق.ل
تأليف انور قصيباتي ٢٠٠

*** طريق الانسان الجديد بين الحرية والاشتراكية**
تأليف احمد حيدر ٢٠٠

*** مع الامام علي من خلال نهج البلاغة**
تأليف خليل الهنداوي ٢٥٠

*** اصابعنا التي تحترق (رواية)**
بقلم الدكتور سهيل ادريس ٤٠٠

*** مشكلة الحب**
بقلم الدكتور زكريا ابراهيم ٥٠٠

*** قضايا الشعر المعاصر**
بقلم نازك الملائكة ٤٥٠

*** ازمة الجنس في الرواية العربية**
بقلم غالي شكري ٤٥٠

*** الاشتراكية والادب**
بقلم الدكتور لويس عوض ٣٥٠

*** الشعوبية والقومية العربية**
بقلم عبد الهادي الفكيكي ١٥٠